لِكُلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القِيامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، ألا وإنَّ أكْبَرَ الغَدْرِ غَدْرُ أميرِ عامَّةٍ، ألا لا يَمْنَعَنَّ رجلاً مهابةُ النَّاسِ أنْ يَتَكَلَّمَ بالحَقِّ إذا عَلِمَهُ، ألا إنَّ أفْضَلَ الجِهادِ كلمةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطانٍ جائرٍ، ألا إنَّ مَثَلَ ما بَقِيَ مِنَ الدُّنيا فيما مَضَى منها مثلُ ما بَقِيَ مِنَ يَوْمِكُمْ هذا فيما مَضَى مِنْهُ». كذا في الجامع وشرحه للمناوي، وقال المناوي (٢/ ١٨١): وفيه علي بن زيد بن جدعان أورده الذهبي في الضعفاء. وقال أحمد ويحيى: ليس بشيء ـ انتهى.

خطبة جامعة له عليه السلام أثرها عنه عمر

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن السائب بن مهجان من أهل الشام ـ وكان قد أدرك الصحابة ـ قال: لما دخل عمر رضي الله عنه الشام، حَمِدَ اللَّهَ وَأثنى عليه، ووعظ وذكّر، وأمرَ بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قام فينا خطيباً كقيامي فيكم، فأمرَ بتقوى الله، وصلة الرحم، وصلاح ذاتِ البَيْنِ، وقال: «عَلَيْكُمْ بالجماعةِ ـ وفي لفظ: «بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ ـ فَإنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الجَماعَةِ، وَإنَّ الشَّيطَانَ مَعَ الواحِدِ وَهُوَ مِنَ الإثْنَيْنِ أبْعَدُ، لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامرأةٍ فإنَّ الشَّيطَانَ ثالِثُهُما، وَمَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهِيَ أمارَةُ المسلمِ المؤمنِ، وأمارة المنافق الذي لا تسوؤه سَيِّئَتُهُ ولا تَسُرُّهُ حَسَنَتُهُ، إنْ عَمِلَ خَيراً لَمْ يَرْجُ مِنَ اللَّهِ في ذلك الخيرِ ثواباً، وإنْ عَمِلَ شَرّاً لم يَخَفْ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الشَّرِّ عُقُوبَةً، فَأجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيا، فإنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ بِأرْزَاقِكُمْ، وَكُلُّ سَيَتِمُّ لَهُ عَمَلُهُ الذي كانَ عاملاً، اسْتَعِينُوا باللَّهِ على أعمالِكُمْ؛ فإنَّهُ يَمْحُو ما يشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أمُّ الكِتابِ» صلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وعليه السلام ورحمةُ الله، السلامُ عليكم». قال البيهقي وابن عساكر: هذه خطبة عمر بن الخطاب على أهل الشام أثرها عن رسول الله ﷺ. كذا في الكنز (٨/ ٢٠٧).

آخر خطباته ﷺ

أخرج الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صُبُّوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ مِنْ آبارٍ شَتَّى؛ حَتَّى أخْرُجَ إلى النَّاسِ فأعْهَدَ إلَيْهِمْ» قالَ: فخرج عاصباً رأسه ﷺ حتى صعد المنبر، فحمدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: «إنَّ عَبْداً مِنْ عِبادِ اللَّهِ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؛ فاختارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَلَمْ يلقنها[1] إلا أبو بكر رضي الله عنه، فبكى فقال: نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأبنائنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «عَلى رِسْلِكَ، أفْضَلُ

(١) «لم يلقنها»: لم يفهمها.

النَّاسِ عِنْدِي فِي الصُّحْبَةِ وَذَاتِ اليَدِ ابنُ أبي قحافةَ، انْظُرُوا هٰذِهِ الأبوابَ الشَّوَارِعَ في المسجدِ فَسُدُّوها، إلا ما كانَ مِن بابِ أبي بَكْرٍ، فإني رَأَيْتُ عَلَيْهِ نُوراً» قال الهيثمي (٩/ ٤٢): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار إلا أنه زاد: وذكر قَتْلَى أُحُد فصلَّى عليهم فأكثر، وإسناده حسن انتهى.

وأخرج البيهقي عن أيوب بن بشير رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في مرضه: «أفِيضُوا عليَّ» فذكره بنحوه وزاد: فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه، ذَكَرَ أصحاب أُحُد فاستغفر لهم، ودعا لهم، ثم قال: «يا مَعْشَرَ المهاجرينَ إنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ تَزِيدُونَ والأنصارُ عَلَى هَيْئَتِهَا لاَ تَزِيدُ، وإنَّهُمْ عيبتي[1] التي آوَيْتُ إليها، فأكْرِمُوا كَرِيمَهُمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»، ثم قال عليه السلام: «أيُّها النَّاسُ إنَّ عَبْداً مِنْ عِبادِ اللَّهِ» فذكر نحوه. وفي روايته: ففهمها أبو بكر من بين الناس فبكى. قال ابن كثير في البداية (٥/ ٢٢٩): هذا مرسل له شواهد كثيرة. انتهى.

وعند أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: خطب رسولُ الله ﷺ الناس فقال: «إنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْداً بَيْنَ الدُّنْيا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فاختارَ ذلكَ العَبْدُ ما عِنْدَ اللَّهِ» قال: فبكى أبو بكر، قال: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد، فكان رسولُ الله هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعْلَمَنا به، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ وَمالِهِ أبو بَكْرٍ، لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلاً، وَلٰكِنْ خُلَّةُ الإسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ في المسجدِ بابٌ إلاَّ سُدَّ إلا باب أبي بكرٍ». وهكذا أخرجه البخاري ومسلم كما في البداية (٥/ ٢٢٩).

وأخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بعصابة دسماء[2]، ملتحفاً بملحفة على منكبيه، فجلس على المنبر فذكر الخطبة، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال: فكانَ آخِرَ مجلسٍ جلس فيه رسولُ الله ﷺ حتى قُبِضَ ـ يعني آخر خطبة خطبها عليه السلام. كذا في البداية (٥/ ٢٣٠). وأخرجه ابن سعد (٢/ ٢٥١) عن أبي سعيد رضي الله عنه بمعناه.

وأخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه وكان أحدَ الثلاثة الذين تيب عليهم ـ أن النبيَّ ﷺ قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، واستغفر للشهداء

(١) «عيبتي»: خاصتي وموضع سرّي.

(٢) «دسماء»: أي سوداء.

الذين قتلوا يوم أحد فقال: «إنكُمْ يا مَعْشَرَ المهاجرينَ» فذكر الوصاة بالأنصار نحو ما تقدّم في حديث أيوب عند البيهقي. قال الهيثمي (١٠/ ٣٧): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الطبراني أيضاً عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: آخر خطبة خطبناها رسول الله ﷺ ـ فذكر نحوه باختصار: قال الهيثمي (١٠/ ٣٧) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ـ انتهى. وأخرجه الحاكم (٤/ ٧٨) عن عبد الله بن كعب عن أبيه ـ فذكر نحوه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه! وقال الذهبي: صحيح.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: **أنه سمع أبا هريرة وابن عباس رضي الله عنهم يقولان: سمعنا رسولَ الله ﷺ في آخر خطبته يقول: «إنَّ مَنْ حَافَظَ على هؤلاءِ الصَّلَوَاتِ الخمسِ المكتوباتِ في جماعةٍ، كانَ أوّلَ مَنْ يَجُوزُ على الصِّرَاطِ كالبرقِ اللامعِ، وحشره الله في أول زمرة من التابعين، وكان له في كل يوم وليلة حافظ عليهن كأجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله»**. قال الهيثمي (٢/ ٣٩): وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه. انتهى.

خطبة النبي ﷺ من الفجر إلى المغرب

أخرج الحاكم (٤/ ٤٨٧) عن أبي زيد الأنصاريّ رضي الله عنه قال: **صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ الصبح، فخطبنا إلى الظهر، ثم نزل فصلّى الظهر، ثم خطبنا إلى العصر فنزل فصلّى العصر، ثم صعد فخطبنا إلى المغرب، وحدثنا بما هو كائن، فَأَعْلَمنا أحفظنا**. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصحّحه الذهبي.

كيفية النبي ﷺ وقت الخطبة

أخرج ابن سعد (١/ ٣٧٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: **أنّ رسول الله ﷺ كان إذا خطب الناس، احمرّت عيناه، ورفع صوته، واشتدّ غضبه كأنه منذرُ جيشٍ: صبّحتكم أو مسّكم، ثم يقول: «بُعِثْتُ أنا والسّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وأشار بالسّبابة والوسطى ـ ثم يقول: «أحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ، وَشَرُّ الأمور مُحْدَثَاتُها، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، مَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيناً أو ضَياعاً[1] فإلَيَّ وَعَلَيَّ»**. وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ١٤٤) عن جابر ـ نحوه وفي روايته: **وعلا صوته**، وقال: ورواه مسلم في الصحيح.

---

(١) «ضياعاً»: عيالاً.